

البينية في مواجهة النقد — مقارنة في النقاش المتعلق بها —

Interdisciplinarity in the face of criticism

- Approach to the related debate -

محمد عزيزو¹*¹جامعة حسية بن بوعلي (الجزائر)، mdzz771@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/27 تاريخ القبول: 2023/06/05 تاريخ النشر:
2023/06/22

ملخص:

مع أهمية الدراسة البينية *Interdisciplinarity* في تأكيد التواصل بين التخصصات ضدّ الإنحصار فيها، إلا أنّ هذه الدراسة يجب أن لا تفهم، في رأينا، بعيدا عن موقف النقد والإعتراض. إنّ هذا البحث إذ يستحضر هذا الأمر، يستهدف موضوعة الدراسة البينية في إطار الاختلاف، كما يستهدف موضعها في إطار الثراء الذي تقوم عليه. و بالإعتماد على المنهجين التحليلي والمقارن، فقد كانت لنا بعض النتائج منها؛ أنّ هذه الدراسات لا يجب ان تفهم بالمعنى الجاهز والنّهائي، بل يجب أن تفهم في إطار سياق تطورها، وحاجتها إلى الدعم النظري.

كلمات مفتاحية: الدراسة البينية، التكامل، الاختلاف، النقد، المواقف.

Abstract:

This study aims to place Interdisciplinarity in the framework of difference, and to place it in the framework of richness on which it is based. And depending on the analytical and comparative approaches, we had some results from them; These studies should not be understood in the ready and definitive sense, but should be understood in the context of their development and their need for theoretical support.

Keywords: Interdisciplinarity, Integration, Difference, Criticism, Positions.

1. مقدمة:

تقترن الدراسة البينية المسمّاة بـInterdisciplinarity أو تداخل الاختصاصات مبدئيًا بفكرتين متجاورتين هما فكرة التّجاوز وفكرة التّواصل، وهما فكرتان لا يخفى أنّهما تدلّان على تناقض ظاهري، فالّتّجاوز يعني الخروج من التّخصّص، والتّواصل يعني العودة إلى التّخصّص. ربّما يكون من الأنسب التّغاضي عن هذا التّناقض بالتّأكيد أنّ الأمر يتعلّق فقط بالفرق بين الضيق والإتساع، أو في صورة أخرى يتعلّق فقط بمساهمة التّخصّصات بعضها مع بعض؛ في إطار جهد موحّد لمواجهة الواقع المعقّد وتحدياته المختلفة، كما يمكن استنتاجه من زاوية أخرى، إلّا أنّ الفكرتين معًا يمكن أن نلاحظ أنّهما ترتبطان بشيئ من التّوتر. وهذا التّوتر إن كان له أن يظهر، فهو يظهر من عديد الإشكالات والمسائل التي يمكن أن تُثار. إنّ الدراسة البينية في الواقع قد ظهرت حديثًا وأصبح لها صدى ومؤيدين، ولكن، هذا التأييد والانتشار لابدّ وأن يستوقف الدّارس، فإن ترتبط هذه الدراسة بالتّخصّص يعني أن ترتبط بنجاح التّخصّص. أي أن ترتبط بالعلاقة المتوتّرة مع مؤيديه، كما أنّها وبالقدر نفسه، ترتبط بقدرتها على الصّمود واثبات وجودها أمام غيرها؛ وهي توجّه جديد له أفكاره وطروحاته. إنّ وضعية الدراسة البينية على هذا، تبدو وضعية شائكة وتخطّيتها لايدلّ على موقف سديد. وإذا كان هذا يستدعي أن نفهم هذه الوضعية، فلعلّ السّؤال الذي يطرح نفسه، هو ماهي هذه الآراء والمواقف المحيطة بهذا الدّراسة ؟ وهل وجود مثل هذه الآراء والمواقف من شأنه أن يؤثّر في أهمّيتها؟

من أجل الإجابة عن هذين السّؤالين، من المهمّ أن نذكر أنّ عملنا هنا يندرج في إطار الوقوف على تاريخيّة الدّراسة البينية؛ تاريخيّتها من حيث أنها قائمة على الاختلاف وليس على الجاهزيّة. فمانستهدفه هو موضعها في إطار تجاذب الآراء المؤيّة والمعارضة، وفي إطار ثرائها الذي تقوم عليه. ومنهجنا في هذا هو منهج التّحليل والمقارنة. وطبعًا، فإنّ الدّراسة البينية هي من المواضيع المطروقة، ولكن يبدو لنا أنّ زاوية النّظر التي نقدّمها لها خصوصيّتها. فكثيرا مانلاحظ أنّ هذه الدّراسة يتعامل معها وكأنّها مقبولة من الجميع، أو أنّها مكتملة،

وهذا التعامل فيما نحسب له تأثير سلبي على طريقة فهم المفاهيم وطريقة اسقاطها.

2. نظرة في مفهوم الدراسة البينية Interdisciplinarity

يحتاج كل مصطلح لاشك إلى الإيضاح والتحديد، حتى وإن غلبت شهرته المسامح، هذه في الواقع حقيقة بديهية، ولكنها تبدو لنا حقيقة ضرورية بالنسبة إلى بعض المصطلحات كمصطلح الدراسة البينية السالف الذكر، الذي وإن كثر تداوله مؤخرا يحتاج فيما نحسب إلى إيضاح، خاصة وقد أضى تداوله متقاطعا مع مصطلحات أخرى ومجالات أخرى؛ ويقع في خضم تطورات معرفية متلاحقة. ثم أنه من الأهمية بمكان أن نعلم أن المفهوم، كما يقال، يكون واضحا إذا كان لابس فيه وعلى قدر من التوافق على معناه (Hébert, 2016, p58). هذا الصدد عندما نقف على مصطلح الدراسة البينية، نجد في الحقيقة كلاما في غاية الأهمية عن مفهوم الدراسة البينية؛ إلى درجة أن يبدو ذلك بعيدا عن كل خلاف. ولكن في الواقع، فإن وجود الخلاف وجود قائم ليس خافيا، ويمكن تتبعه من اتجاهات النظر التي تتباين بحسب التوجهات والإهتمامات، ولعل هذا واضح مما تعترف به كلاين (Julie Thompson Klein 1944-..) عندما تقول «أن المقاربة البينية غالبا ما يتم الإشادة بها اليوم، ولكن بدون إشارة واضحة إلى ماهيتها. (Klein, 1990, p12)» وعدم الوضوح الذي تشير إليه، غالبا ما يظهر في صورة عملية، فموريس بايات (Maurice Payette 1929-2019)، يذكر أنه في إحدى الدورات، قام رفاهه، في فريق العمل، باستخدام كلمتي تعدد التخصصات multidisciplinarité وتداخل التخصصات interdisciplinarité في معاني مختلفة، أو بطريقة غير دقيقة. ماكان له كما قال، تأثير سلبي في تنفيذ ممارسة بينية حقيقية بين التخصصات، محل الإهتمام (Payette, 2001, p20).

والحاصل أن العمل الميداني له اشكالاته وتحدياته، والدراسة البينية ليست استثناء من هذا، فهي تتبع بشكل طبيعي اكرهات هذا الواقع، ولكن هذا لا يستثنى منه الجانب النظري أيضا، الذي يقع لاشك في خضم النقاش والتداول. إن كلاين مثلا

عندما تقف على هذا الأمر تذكر بعض الأسباب التي تعكس الوضعية الإحراجية للدراسة البينية، أي وضعية الجاذبية والإغراء من جهة، والغموض والإرتباك من جهة أخرى، كما تقول. وهذه الأسباب هي أولاً: وجود الشكّ حول التعريف المطلوب، وثانياً: نقص الإلمام بالمعرفة المتعددة التخصصات. وثالثاً: الافتقار إلى الهوية المهنية أو وحدة الخطاب (Klein,1990,p11-13) وبطبيعة الحال، فهذا لا يفي المفهوم التعريفي للدراسة البينية بالمرّة، أو يفي أن تكون ثمة صورة معيّنة لها. إنّ هذه الصورة في الحقيقة متحققة، يدلّ عليها العدد الكبير من التعريفات، ولكن ما هو مهمّ أن نعلم أنّ هذه التعريفات لا تيسر في اتجاه واحد، أو تتقيّد بنظرة واحدة، فكما تقول كلاين «ليست كل الدراسات البينية هي نفسها. الخلافات حول التعريف تعكس وجهات نظر مختلفة، حول الغرض من البحث والتعليم، ودور التخصصات، ودور النقد» (Klein,2012, p55).

والآن لنرى مصداق هذا من بعض التعريفات، ولنبدأ بالتعريف المشهور بتعريف كلاين/ نويل William H. Newell (Klein/ Newell). في هذا التعريف الدراسة البينية هي: «عملية الإجابة عن سؤال أو حلّ مشكلة أو معالجة موضوع واسع جداً أو معقّد، لا يمكن التعامل معه بشكل مناسب من خلال تخصص أو مهنة واحدة. إنّ الدراسة البينية IDS تعتمد على وجهات النظر التخصصية وتدمج رؤاهم تلك في بناء منظور أكثر شمولية» (Hesse-Biber & Johnson, 2015,p129). إنّ هذا التعريف، كما هو ظاهر، ينظر إلى الدراسة البينية على أنّها عملية إجابة process of answering a، وأنّها في إطار ذلك، هي خروج من تخصص إلى تخصص آخر عن طريق دمج الرؤى المختلفة integrate insights. وهذا كما سنرى سيكون له أثره اللاحق. في التعريف الثاني يمكن أن نلاحظ الرؤية نفسها، ولكن بشكل آخر. وهذا التعريف هو الذي قالت به بعض الهيئات الأمريكية كالأكاديمية الوطنية للعلوم، وفيه أنّ الدراسة البينية هي «أسلوب بحث is a mode of research ينجزه فريق أو مجموعة افراد، يدمجون معلومات ومعطيات وتقنيات وأدوات ووجهات نظر

ومفاهيم أو نظريات من تخصصين أو أكثر ... من أجل الارتقاء بالفهم أو حلّ مشكلات». (Hesse-Biber & Johnson, 2015,p129) وهنا يبدو شيئا من التضييق من خلال استخدام كلمة mode of research ؛ حيث أنّ الطريقة، كما يقول ربكو (Allen. F. Repko) هي جزء من العملية a process، وأنّ هذه الأخيرة تمتلك في الواقع مرونة منهجية أكبر منها. أي من حيث هي بالدرجة الأولى وسائل وأدوات وليست غاية في ذاتها (Repko,2008,P12). في التعريف الثالث قد لا يبدو ثمة اختلافا عن مفهوم حلّ المشكلات، ولكن التركيز كما سنري سيدور حول قدرة انتاج العمل البيني. تقول في هذا الشأن مانسيلا (Veronica Boix Mansilla)، أنّ الدّراسة البينية هي «القدرة على دمج المعرفة وأنماط التفكير المستمدة من تخصصين أو أكثر» (Repko et al,2017, p96). وهذه التعريفات، كما يتبيّن لنا، إن كانت تُضيئ على نقاط مشتركة تميّز الدّراسة البينية، وخاصة منها فكرة التّكامل أو الدّمج Integration، فإنّه يجب القول أنّها تضيئ أيضا على التحوّلات التي عرفتتها الدّراسة البينية منذ انطلاقتها الأولى. إنّ التعريف الذي قدّمته منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) في فرنسا في عام 1972 يتضمّن مايلي: «الدّراسة البينية هي صفة تصف التّفاعل بين اثنين أو أكثر من التّخصّصات المختلفة. قد يتراوح هذا التّفاعل من التّواصل البسيط للأفكار إلى التّكامل المتبادل لتنظيم المفاهيم والمنهجيّات والإجراءات...» (Choi & Richards,2017,p44). فهنا الحديث يتمحور حول التّفاعل بالدرجة الأولى، وإن كان لا يستثني التّكامل، كما أنّ الرّؤية هي رؤية وصفية للدّور المؤدّي من طرف العاملين العلميّين. وفي كلّ الأحوال، فإنّ الحديث بالتّفاعل أو بالتّكامل هو حديث عن توجّهات في الدّراسة البينية تستدعي أن نقف عليها. ولكن، من المهمّ الإشارة أنّ التعريفات التي رأيناها إن كانت تلقى قبولا بدليل شهرتها إلا أنّ هناك من يعترض عليها، ليس بمعنى رفضها تماما، ولكن، بمعنى عدم كفايتها كما نجد ذلك عند تسوزتاك (Rick Szostak1959..). إنّ تسوزتاك، وهو يقف على هذه التعريفات، يشير إلى بعض الملاحظات المهمّة، فهو يشير أنّ تلك التعريفات هي تعريفات بالماهية أو تعريفات تُعنى بتحديد ما يخصّ البينية ويميّزها، وليست

بتعريفات خاصة بطريقة تنفيذها أو ممارستها. فسؤالها في رأيه هو ماذا؟ "what" وليس كيف؟ "how". وربما يثور السؤال عن دافع تسوزتاك إلى هذا الموقف، وظاهر تلك التعريفات لا يخلو من توجه عملي، في الواقع أن تسوزتاك لا ينكر أن ثمة توجهًا عمليًا في هذه التعريفات، ولكنه يرى أن هذه التعريفات لا تمكّن حقيقة من التمييز بين العمل البيني الحقيقي والعمل البيني العرضي. وهذا لا شك يحيل إلى أن ثمة عملاً بينياً هو في محلّ النقد عنده، والحق أن العمل البيني الذي يقصده هو ذلك الذي يأتي مستسهلاً ولا يراعي الشروط المطلوبة. وبالنسبة إليه، فتلك التعريفات، وإن كانت تركز على الإدماج والتكامل، فإنها مع ذلك لا تقدّم توضيحاً لكيفية تجسيد هذا التكامل، وبالتالي فإن تلك التعريفات بقدر ما تؤكد العمل البيني، تظلّ مشدودة إلى العمل التخصصي دون انفصال كبير؛ ولذلك فهو يُقيم فرقاً بين ما يسميه التعريف الموسع extensional definition والتعريف المكثف Intensional

definition (Szostak, 2015, p99). والتعريف الموسع المقصود هو الذي يقترن بجملة من الممارسات المحددة كطرح أسئلة بحثية محكمة، ومحاولة النظر فيها بطريقة مركزة، ونحو ذلك (Szostak, 2015, p109). وفي كلّ الأحوال، فإنّ هذه الرؤية ممّا تدلّ على النقص الموجود في العمل البيني، فمع أن تسوزتاك لا يختلف بالمطلق مع التعريفات المشار إليها؛ من حيث تأكيدها على التكامل وحلّ المشكلات، إلاّ أنّه يظهر هاجساً من واقع العمل البيني. والحقيقة أنّه لا يجب أن يدهشنا هذا الهاجس عندما نجد البينية تتعرّض إلى النقد أو تقع في دائرة النقاش. فذلك تحصيل حاصل.

3 تاريخية الدراسة البينية:

لقد تمّت الإشارة أنّ الدّراسة البينية قد أخذت منحاً جديداً في مرحلة السبعينات، من خلال مؤتمر منظمة التعاون الإقتصادي الذي اعتمد المصطلح وميّزه، ولكن من المهمّ القول، أنّ المرحلة التي سبقت لها دلالتها وتأثيرها في المرحلة التالية، فالدراسة البينية، كأيّ دراسة معرفية أو منهجية أو تنظيمية لها أسبابها ودواعيها.

ولا يخفى، أن الظاهر اللفظي من الدراسة البينية له دلالاته الأوليّة على هذا، فهناك لاشكّ إشارة إلى التّجاوز والتّعدّي، وليس هذا التّجاوز والتّعدّي إلى العلاقة بالتّخصّص. وليس هذا في الأخير إلّا العلاقة من جهة بالتّعليم والبحث، والعلاقة بالوضع الاجتماعي والإقتصادي من جهة أخرى. ومن هنا، يمكن أن نفهم أن الأمر في الدراسة البينية على علاقة بتطوّر تاريخي متعدّد وشامل. إنّ الدّارسين في هذا الشّأن، يؤكّدون على حقيقة تقرب المعنى ههنا، وهي أنّه في القرن التاسع عشر قد ظهر لدى البعض شعور بفقدان وحدة العلم، وأنّ هذا الشعور قد تنامي وأدّى مع الوقت إلى تأسيس حركة باسم حركة وحدة العلم في ثلاثينات القرن الماضي (Frodeman, et al, 2017, p11). ومن البين أنّ هذا إن كان يعكس الخوف من الإستغراق في التّخصّصات كما يستشفّ، وما في ذلك من نتائج على تقدّم العلم وعلاقة العلم بالمشكلات الإنسانيّة، فهذا الخوف إنّما يفهم في إطار نوعية التّوجّهات التي ظهرت والنّقاشات التي جرت آنئذ. أي إذا شئنا في إطار مافتحه هذا الأفق من وعي بالواقع والمستقبل. وفي هذا الشّأن، من المهمّ الإشارة أنّ من الثّمرات الناتجة عن هذا الوعي هو الحديث في الدراسة البينية، والحديث فيها كما يذكر، له مراحل ثلاثة. المرحلة الأولى، هي المرحلة التي تمتدّ بين الحربين العالميتين الأولى والثّانية. أي بالتّحديد مرحلة العقدين الثّاني والثّالث من القرن الماضي؛ وهي المرحلة التي تمّ التّعرّض فيها إلى الإصلاح التّعليمي، من خلال طرح مشكلة التّخصّص، وشهدت النقاش المتعدّد حول لغة العلم والعلاقة بين التّخصّصات. والمرحلة الثّانية، هي المرحلة التي تمتدّ من الحرب العالميّة الثّانية إلى أواخر سنة 1960، والتي عرفت وبشكل ملفت طرح الرّؤية البينية كخيار لمواجهة متطلّبات المعرفة العلميّة واحتياجات المجتمع المتصاعدة. وقد عكست هذه المرحلة ألوانا من النقاش، إمّا من جهة التّأكيد على جعل الدراسة البينية مشروعا يدمج المناهج والأدوات الموجودة في التّخصّصات المختلفة؛ من أجل حلّ مشكلات ما، مع المحافظة على الحدود بين التّخصّصات. وإمّا من جهة التّأكيد على توليف المعرفة في إطار دراسات مايسمّى دراسات المنطقة area studies. أمّا المرحلة الأخرى، فهي المرحلة التي تمتدّ من نهاية السّتينات إلى مابعد ذلك حتّى الوقت الرّاهن، وهي المرحلة التي تميّزت بالتّنظيم والإحترافية.

أي بتشكّل فرق العمل والخضوع إلى الطابع المؤسّساتي والجمعي، والمثال على ذلك عقد الندوة الدولية حول تعدّد التخصصات سنة 1970، وماتبعا عقب ذلك من تطوّرات، والتي كان منها بالخصوص اعتماد مصطلح Interdisciplinarity (Salter & Hearn, 1997, p 28-26).

ومن الواضح أنّ هذا المسار، وخاصّة في مرحلته الثانية ومابعده إلى فترة السبعينات، إن كان يعكس شيئا من الإهتمام، فإنّه يعكس الإهتمام الذي أبدته في الواقع عدّة مواقف؛ يمكن أن نضعها إمّا في الإطار العملي وإمّا في الإطار المعرفي. وطبعًا، يجب القول أن هذا التّحديد إن كان المقصود منه المرحلة التي أخذت فيها ملامح الدّراسة البينية بالظهور والتّشكّل، فهذه المرحلة ليست منفصلة عن ما قبلها أو مابعدها. إنّ هذه الإشارة بالنّسبة إلينا، تجد مصداقها في عدّة أمور تشير إليها روبرتا فرانك (Roberta Frank 1941-..) في دراستها التاريخيّة القيمة وهي أنّ الإهتمام بالنّظرة البينية، وبالتالي التّفكير في الدّراسة البينية، هو اهتمام وتفكير قد ارتبط خاصّة بالبحث الاجتماعي، ومافي معناه من النزوع نحو العمل الميداني. وأنّ البحث الاجتماعي في نظرتة البينية قد كان موجها بفكرة التعاون وما يتّصل بها من أفكار كالتداخل والتّواصل والترابط. وأنّ النّظرة البينية قد كانت نظرة متحفّظ عليها، أو على الأقلّ غير متجاوب معها بحماس كبير. وأنّ الرّؤية البينية لم تتعرّز وتأخذ مكانها إلّا بعد سلسلة من التّطوّرات (Frank, 1988, p140-143).

والحاصل أنّ وضعيّة التّطوّر التي شهدتها الدّراسة البينية تؤكّد، في نظرنا، حقيقة لا يمكن تجاوزها، وهي الأهميّة التي يكتسبها التّخصّص والأهميّة التي تكتسبها في الآن نفسه العلاقات بين التّخصّص. إنّ هذا لإشكال عويص بالفعل، أن يكون ثمة القبول بالتّخصّص، ومحاولة الخروج منه في الآن نفسه، ولكن عمليًا هذه هي الصّورة كما تعكسها الوضعيّة عصرئذ. إنّ أنوار (Yves Lenoir 1942-..) وهو يتكلّم من جهته في تاريخ الدّراسة البينية، يشير إلى ثلاثة محاور تاريخيّة لها ثقلها في منطق العلاقة بين التّخصّص والعلاقة بين

التّخصّصات. وهذه المحاور هي: المحور التّعليمي الجامعي، ومافتحه من نقاش حول الحدود بين التّخصّصات. والمحور الاجتماعي، وماتعلّق به من اهتمام بحلّ المشكلات. والمحور المهني، وما تعلّق به من انشغال بالحلول العمليّة التّقنيّة. (Lenoir, 1995, p246,247) وفي هذا، كما مايبودو، تجاوزا للمجال المعرفي الإبيستمولوجي، إلى الرّهان الاجتماعي السّياسي والمتطلّبات التّقنيّة، كما يؤكّد أنوار من جهته أيضا (Lenoir, 1995, p247). وأن يوجد مثل هذا الأمر لاشكّ ممّا يؤدّي إلى نقاشات وتباينات، والحقيقة أنّ تاريخ الدّراسة البينية هو في هذا الإتّجاه بدرجات ومستويات مختلفة، ولكن بما أننا كنّا قد أشرنا إلى مرحلة التّبلور، فإنّنا سنشير إلى بعض المواقف، والتي هي في كلّ الأحوال، لاتخرج عن ماطبع الدّراسة البينية سواء من جهة مايسمّى الدّراسة البينية الأدائيّة أو مايسمّى الدّراسة البينية المفاهيميّة؛ ذلك لأنّ المواقف كما سنرى، قد كانت إمّا في إطار الموقف الاجتماعي أو الموقف المعرفي، ولكن يحسن القول أنّ الاختلاف إلى طرفين لايعني بالضرورة امتلاك كل طرف للرّؤية الموحّدة الصّارمة. وإيا يكن، فلإشارة إلى ذلك سنقف أوّلا عند الموقف الاجتماعي.

1.3 الموقف الاجتماعي:

يميل إلى هذا الموقف مثلا محمد علال سي ناصر (1941-..)، وفي ضوءه، فهو يرى أنّ الدّراسة البينية هي تلك الدّراسة التي تتّجه بالأساس إلى التّوظيف الاجتماعي للمعرفة. أي أنّها والحال هذه، الدّراسة التي تتميز بالطّابع العملي والغرض العملي. على أنّ ماهو مهمّ هنا ليس مجرد هذا الجانب في ذاته، ولكن ماينبني عليه، وماينبني عليه، وهو أنّ سي ناصر لا يرى أنّ الدّراسة البينية هي مجرد توليف بسيط للمعرفة، أو مجرد تعاون بسيط بين التّخصّصات. إنّها بالأحرى بالنّسبة إليه، الدّراسة التي تعكس العلاقة بين المعلومات والقرارات des informations et des décisions. أي تلك التي تجد مثالها النّمودجي فيما يسمّيه البحث التّشغيلي أو La recherche opérationnelle. أو في عبارة أخرى البحث الذي يظهر في صورة النّداء إلى المهندس والخبير l'appel à l'ingénieur et à l'expert. وطبعًا فهو عندما يقول هذا، فلاّنه يأخذ بعين الإعتبار سمة العصر الحديث وهي سمة التّقدّم العلمي والتّقني، فالدّراسة البينية

في رأيه هي عرض أو علامة لهذا العصر le symptôme. ومن المهم الوقوف عند هذا لإدراك فكرتين أساسيتين وهما: أنّ الدّراسة البينية ليست في حقيقتها موقفاً تكيفياً مع معرفة تخصصية متزايدة. وإنّما هي المؤشّر أو العلامة على مايفضّل ويعكس التّوجّه نحو قرارات مستنيرة قائمة على معرفة محدّدة (Sinaceur,1977,p621-623). فسي ناصر هنا، يريد أن يتجاوز النظرة الإختزاليّة للدّراسة البينية، كما أنّه وبالقدر نفسه، يريد أن يضع الدّراسة البينية أمام الواقع، وفي اطار تحولات هذا الواقع. وعلينا أن نقول، أنّ هذا الموقف لايمكن تجاهل أهمّيته، فهو ينبّه إلى أنّ المعرفة هي في خدمة الإنسان في النّهاية.

2.3الموقف المعرفي:

كما يظهر، فإنّ هذا الموقف يتعلّق بالرّؤية المعرفية / الإبيستمولوجية، وهذه المعرفة في حقيقتها تتّضح من طريقة التّعامل مع المعرفة، سواء من جهة أنّها نتاج للتّخصّصات أو من جهة أنّها منطلق للتّعامل بها في محيط المعرفة العام. وهذا الموقف إن كان يبرز، فهو يبرز خاصّة عند بياجيه (Jean 1896-1980 Piaget). إن بياجيه وهو يتناول الدّراسة البينية يؤكّد فكرة أساسيّة لها مابعداها، وهي أنّ هذه الدّراسة هي الشّروط الموضوعي لتطوّر البحث المعرفي. أي أنّها بمعنى آخر، الدّراسة المعنية بالتطوّر الدّاخلي للعلوم. وبهذا التّأكيد، فإنّ الدّراسة البينية تبدو بالنّسبة إليه أمراً يقتضيه التّفسير السّببي (Apostel et al, 1972,p156). وهو تفسير متعلّق ببنية التّخصّصات، ومايمكن أن تؤول إليه. أي بمعنى أنّها من خلال بناها والعلاقات بين هذه البنى تتّجه إلى مايكمّلها. ولكن إذا كان هذا لاتخفى خلفيّة البنيويّة، فإنّه يجب القول أنّه الموقف الذي يخالفه موقف آخر وهو موقف جاننش (Erich Jantsch 1980-1929). إنّ جاننش، وعلى عكس بياجيه، لايرى المسألة متعلّقة بتطوّر العلاقات السّببيّة بين البنى، بل يرى الأمر متعلّقاً بالفعل الإنساني. أي بفعل قائم على دور التّخصّصات بصفقتها وسيلة نحو غاية، وهو ما يفسّر اهتمامه بنموذج العمل البيني (Klein,1990, p66)، هذا العمل الذي حدّده من خلال خمسة مفاهيم وهي : multidisciplinary :

pluridisciplinarity crossdisciplinarity. interdisciplinarity, transdisciplinarity. والأساس في هذا هو ما يصير إليه التعاون، أي كعلاقة بين التخصصات. فبالنسبة إليه، هذا التعاون يتطور من أدنى إلى أعلى، وفي ضوء ذلك، يبرز كل مفهوم من هذه المفاهيم. وفي إطار هذا يمكن أن نلاحظ أن multidisciplinarity تقع في الأدنى بينما transdisciplinarity تقع في الأعلى، وإنما تقع الأولى في الأدنى؛ لأنه ليس هناك تفاعل ملحوظ. في حين أن الأخرى تقع في الأعلى؛ لأنّ ثمة تفاعلاً ملحوظاً، وعلى درجة من التشابك والتعقيد. أما interdisciplinarity التي تقع خلفها، فهي بالنسبة إليه المفهوم الذي يعكس بالفعل الغرض البشري، أو العمل التعاوني التتسيقي. فهذا العمل يبدأ قبلها، ولكنه يبلغ درجته المهمة في interdisciplinarity ويصل إلى مستواه الأقصى في transdisciplinarity.

(Apostel et al, 1972, p100-104). ومن خلال هذا المنظور- يبدو أن ثمة تقارباً في وجهات النظر بين جانتش وبياجي وخاصة بالنسبة إلى المفهوم الأخير، ولكن يمكن أن نلاحظ أنه بالرغم من هذا التقارب، وكما يقول البعض هناك شيء من الغموض يكتنف هذا المصطلح، بالنظر إلى أنه مفهوم من جانب بياجي على أنه شكل آخر متطور من interdisciplinarity ، وأنه مفهوم بالنسبة إلى جانتش على أنه في إطار نظرة تخصصية جديدة بالغة الإفراط (Nicolescu, 2010, p17, 18). hyperdiscipline .

على أنه من الجدير بالذكر أن موقف جانتش المشار إليه هو موقف متقدم بالمقارنة مع موقف آخر متبني عند كامبل (Donald 1996-1916) Campbell والمعروف بنموذج السمكة fish scale model . إن كامبل في نموذج هذا يرى وجود فراغات بين التخصصات، وأن البحث البيني عندئذ ليس سوى محاولة لسد هذه الفراغات بمعرفة أوسع وأشمل (Klein, 1990, p82) . وفي هذا ما يفيد أن الأمر متعلق فقط بخيار يتم اللجوء إليه وليس غاية في ذاته، أو أنه من جهة أخرى ليس إلا طريقة لتعزيز المعرفة لأكثر.

وأيًا يكن، فإنه إذا ماعدنا إلى المصطلحات المشار إليها وما يتعلق بها من تفاوت في المعاني، فإنه يمكن القول أن ذلك قد تجسّد لاحقاً؛ إذا أخذنا بعين

الاعتبار أنّ دراستا بياجي وجانتش كانتا منطلقا لدراسات أخرى لاحقة (Klein,1990,p36). كما توضّح ذلك كلاين وهي تقف على تطوّرات البينية، فقد أحصت ثلاث خطابات. خطاب التّعالّي The discourse of transcendence و خطاب حلّ المشكلات The discourse of problem solving و خطاب التّجاوز The discourse of transgression. (Klein,2014,69). ومن هنا يمكن أن نرى كيف أن الدّراسة البينية هي دراسة قد تعلّقت بالنّمو والتّضج، ولم تكن فكرة واضحة ومحدّدة من أول امرها.

4 - الموقف المضادّ للدّراسة البينية:

لئن كان مارأينا قد دلّ بوضوح على أهميّة ومكانة الدّراسة البينية لدى البعض، ممّن انبروا إلى الدّفاع عنها والتّنظير لها، فإنّ هذا في النّهاية لا يجب أن يحجب عنّا حقيقة أنّ هذه الدّراسة في المقابل هي دراسة تلقى النّقد والإعتراض من طرف آخرين. إنّ هذا النّقد والإعتراض في الواقع يأخذ أشكالا مختلفة ويتّخذ مبرّرات متباينة، ولكن يمكن القول أنّه بقدر ما هنالك سعي إلى تجاوز التّخصّصات، هنالك سعي إلى العودة إلى التّخصّصات، أو لنقل هناك تشبّث بالتّخصّصات. على أنّ ما هو مهمّ أن هذا التشبّث ليس دونه طرح اشكالية التّخصّصات، فهذه المسألة وعلى عكس ماتبدو ليست بالمسألة السّهلة. وعلى أيّة حال، فإنّه عند الحديث في النّقد والإعتراض، تظهر أفكار عديدة يهّمنا هنا أن نشير إليها من خلال بعض الأسماء، فهذا بنسون (Thomas Benson) وهو يعترض عليها يقدّم خمس حجج؛ الأولى أنّ الدّراسة البينية تقوم على ارتباك مفاهيمي، والثّانية أنّ هذه الدّراسة تأتي على حساب النّضج في التّخصّصات، والثّالثة أنّها تعيق اكتساب ونموّ الكفاءة، ورابعا أنّها تستبدل الصرامة بالسطحية أو بالإثارة، وأنّها خامسا وأخيرا دراسة مكلفة (Benson, 1982,p01-07). أمّا بالنّسبة إلى جاكوبس (Jerry Jacobs 1955-..)، فهو إذ يعلن صراحة انحيازَه إلى التّخصّص ودفاعه عنه، يؤكّد هذا الانحياز وهذه المدافعة، من خلال ابداء موقفه خاصّة من التّكامل Integration. إنّ موقفه في هذا الشّأن أنّ الدّراسة

البينية ليست ضرورية ولا كافية لتحقيق التّكامل المعرفي. وهذا؛ لأنّ التّكامل، في رأيه، أمر نسبيّ، وما يتحقّق منه في أحسن الأحوال، لا يعدو أن يكون سوى مساهمات تأليفية synthetic. وثانيًا: لأنّ التّكامل إذا ماتمّ، فهو يتمّ مبدئيًا داخل التّخصّص وليس خارجا عنه (Jacobs, 2013, p127). وعلينا هنا أن نوضّح، أنّ جيرى جاكوبس عندما يبدي هذا الموقف، يبيده وهو يأخذ بعين الاعتبار أنّ التّخصّصات تتميّز بالإستعاب والشّمول. أي أنّها تتميّز بوجود الاختلافات والتّباينات في إطار تقدّم المعرفة، ومن ثمّ فهي تستوعب بعد ذلك هذا التّمايز الناتج عنها. إنّ للتّخصّصات كما يقول طبيعة داخلية تركيبية/ توليفية (Jacobs, synthetic nature. 2013, p127) ولأنّ لهذا ما يترتّب عنه، فإنّه ينكر تلك الصّورة المعطاة للدراسة البينية بأنّها تقود إلى حلّ المشكلات. بالنسبة إليه، فإنّ وجود مشكلات معيّنة لا ينبغي بالضرورة على وجود فرق متعدّدة من تخصّصات أخرى، فحلّ المشكلات يمكن أن يكون من خلال الحلول التي تنتجها التّخصّصات، في إطار عملية دمج موسّعة. أي في إطار اتّساع الحلول الجزئية واقتضاء دمجها (Jacobs, 2013, p129)، ثمّ أنّ ما يكون في رأيه حلاً متكاملاً هو من وجهة نظر أخرى حلاً جزئياً. وعلاوة على ذلك في رأيه، فإنّه حتّى في الحالة التي تكون فيها الحاجة إلى عدّة تخصّصات، فإنّ هذه الحاجة قد لا تكون مثمرة عندما لا يكون هناك سند من قاعدة معرفيّة تخصّصية ناضجة. والأكثر من هذا، أنّ الدّراسة البينية تقوم على الانقسام تبعاً لنوع المنهجيات والطّرق التي تنهض عليها؛ ما يؤدّي في النهاية إلى أن لا يكون البحث موحّداً تحت مظلة واحدة. بل على العكس من ذلك، أن يكون تحت تأثيرات تدفّقات التّمويل المتنوّعة وتعريفات المشكلة قيد الدّراسة (Jacobs, 2013, p128, 129). إنّ المثال الذي يعتمده جيرى جاكوبس هنا، هو مثال الإحتباس الحراري، فهذا المثال بالرّغم من أنّه يشير إلى الحاجة إلى عمل جماعي من تخصّصات مختلفة إلّا أنّه، في رأيه، يعتمد بالأساس على امكانية ماتقدّمه التّخصّصات، ووجود فرق من خارج التّخصّصات ليس عندئذ بالأمر الضّروري. (Jacobs, 2013, p129, 130) وأياً يكن، فإنّ الموقف من الدّراسة البينية هو موقف على قدر من التّباين، ومن المهمّ أن يفهم في إطار هذا التّباين؛ لأنّ الآراء تتعدّد إلى الحدّ الذي لا يتّسع

له المقام هنا، ولعلّ في جملة هذه الكلمات ما يشير إلى ذلك بوضوح، فإنّ المرء يمكنه أن يصادف كلمات من قبيل تكرر، تناقض، استراتيجية بحث ضعيفة، ايدولوجيا طوباوية، استحالة، صعوبة، جودة رديئة، رفاهية علمية، وهكذا (Graff, 2016, p785-787). كما يمكنه أن يصادف كلاما من قبيل أنّ العلوم المسماة صلبة لا تتجاوز إلى العلوم المسماة انسانية، وأنّه لا تدخل ولا تكامل بينهما (Camus, 1995, p01). وبالرغم، من ذلك، فحدّة هذه الكلمات وقوّتها السلبية لا تجعل من طريق الدّراسة البينية طريقا مسدودا، فأنصار هذه الدّراسة قد كانت لهم ردودهم، ومن أبرزها الرّد الذي فتحه نويل مع بنسون، فإذا كان هذا الأخير قد كشف عن حجج خمسة، فإنّ نويل قد أجاب عنها بما يردّها كلّها. بالنسبة إلى الحجّة الأولى، فقد كان رأيّه أنّ الدّراسة البينية لا تتعلق بارتباك مفاهيمي؛ لأنّها في الأصل مواجهة مع العالم، من خلال سؤال يفرض الإستعانة بتخصّصات أخرى. وبطبيعة الحال، فنويل يدرك تماما الصّعوبات والإشكالات هنا، ولكن في رأيّه، فإنّ مسألة العلاقة بين التّخصّصات ليست بأيّ حال من الأحوال مجرد عملية تركيبية بسيطة وفجّة، بل هي عمليّة لها شروطها الجادّة-p01 (Newell, 1983, 02). أمّا بالنسبة إلى الجواب الثّاني، فقد رأى أنّ الدّراسة البينية لا تُغني عن الدّراسة التّخصّصية، وهي تتطلّب مثلها نضجا، وتفتح آفاقا أمام المتخصّصين، لا تفتحها التّخصّصات نفسها. وإذا كان هذا يعني أن يكمل التّخصّص بتخصّصات أخرى، فلا بدّ أن يكون ذلك، في إطار دراسي متقدّم وليس فقط كتتويج، ولا ضير في ذلك، في رأيّه، بالرغم من صعوبة الوضع. (Newell, 1983, p05) وعلى هذا النّحو، فإنّه في ردّه الثّالث يقول أنّ الدّراسة البينية لا تعيق الكفاءة التي يمكن أن يقدّمها التّخصّص؛ لأنّ العمل الميداني ليس موقوفا تماما على العمل التّخصّصي وحده، بل هو إلى جانب ذلك يستدعي التّفكير غير التّخصّصي، ومن غير أن يكون على حساب الصّرامة، أو أن يعني أنّ التّخصّصات هي فقط التي تحيط نفسها بالصّرامة، فالدراسة البينية هي كذلك تطلبها وبإلحاق (Newell, 1983, p07). وإلى هذا، فإنّه في ردّه

الرّابع يقول أنّ الدّراسة البينية هي أبعد ماتكون عن السّطحية والعبيّنة، وإن كانت هذه المظاهر، في رأيه، لاتنعدم مطلقا بوجود النّقاشات غير المجدية، غير أنّه كما يؤكّد لايجب توقّع في كلّ الأحوال، أن تكون نتائج التّكامل المرجوة نتائج سريعة وحاسمة (Newell, 1983, p08-10). والحقّ أنّ موقف نويل هنا، بالكاد يتجنّب السّلبات العمليّة المحيطة بالدّراسة البينية، الّتي أشار إليها بنسون بكلّ ثقة. أمّا في ردّه على الحجّة الخامسة، فهو يذكر أنّ الدّراسة البينية ليست مكلفة اقتصاديّا، وأنّ المشكلة بالأساس هي مشكلة نقص التّكوين، وليست متعلّقة بالدّراسة البينية في ذاتها، أو أنّها من طبيعتها. (Newell, 1983, p13) والحاصل، أنّ ردود نويل بالرّغم من أهمّيتها إلّا أنّها ممّا تكشف على الأقلّ عن ثلاثة عوائق تواجهها الدّراسة البينية. العائق الأوّل، هو عائق تحقيق التّكامل. والثّاني هو عائق الجدوى. والعائق الثّالث هو عائق التّكوين. وهذه العوائق، فيما نحسب، قد دلّت عليها حالة الإسترسال في الرّد؛ حيث كان ثمة شيئا من التردد والإعتراف. ولايشذّ عن هذا في الواقع نويل وحده، بل ذلك ينسحب على غيره أيضا. لقد ذكر كلّ من سالتر وهيرن Salter & Hearn تسعة أساطير حول تعدّد التّخصّصات؛ منها مثلا أنّها ليست ظاهرة موحّدة أو منفصلة. وأنّها تؤول إلى تخصّصات جديدة. وأنّها ظاهرة حديثة وسيتلاشى الاهتمام بها قريبا، وما إلى ذلك (Salter & Hearn, 1997, p5-7). ولكن الظّاهر أنّ محاولة الرّد لم تكن لتغطّي أو تنفي تماما مايلحق هذه الدّراسة من نقد ومساءلة، والكلام المقرّ به أنّذ هو أنّ هناك القليل من الوضوح المفاهيمي في المناقشات العلميّة الحاليّة حول الدّراسة البينية (Salter & Hearn, 1997, p08)، فكيف لايلحق الدّراسة البينية مايلحقها والأمر هكذا؟ ولكن، على العموم يمكن أن ننته إلى القول أنّ مختلف هذه المواقف تقودنا إلى بعض الأفكار الأساسيّة. أولها، أنّ الدّراسة البينية تتجاوز النّقد الموجه إليها بتغليب الطّموح نحو أهدافها. وثانيها، أنّ الدّراسة البينية لاتنفكّ عن مراجعة نفسها، أو بالأحرى أنّ محاولة التّجاوز فيها ليست فقط نظرة إلى الأمام، بل هي أيضا نظرة إلى الخلف. وثالثها، أنّ الدّراسة البينية تقع في التّعثرات الّتي يفرضها الواقع العملي، وهي مرغمة على ذلك.

5 - تحدّيات الدراسة البينية وأفقها:

ماسبق أن رأيناه، ليدلّ أنّ طريق الدّراسة البينية ليس بالطّريق الذي يمكن أن يُشَقَّ بسهولة، بالرّغم من أنّ ثمة انتشارا وتوسّعا لاينكر، فمجرّد أن توجد الإعتراضات ويوجد الأخذ والرّد هناك لاشكّ إشكالا ما، وهذا الإشكال لابدّ وأن يكون في محلّ النّظر، حتّى وإن كان الموقف أنّ ذلك تعبيرا عن غنى؛ يقوّي ولايُضعف. إنّ مايسترعي الإنتباه في شأن الدّراسة البينية هو المنطلق الذي تنطلق منه، وهو منطلق تجاوز التّخصّص، فهذا المنطلق بقدر مايمثّل قوّة لها نحو متطلّبات المعرفة والحياة بقدر مايمثّل ارتباكا لها، وهذا الارتباك يمكن إدراكه من نواحي متعدّدة، ولكن نكتفي بالقول أنّ التّخصّص الذي تحاول الدّراسة البينية تجاوزه قد تمّ التّعبير عنه عند البعض كسنو- (Charles Snow1905) (1980) بأنّه ثقافة. (Snow, 2012,p09) وتمّ التّعبير عنه عند البعض الآخر كموران (Edgar Morin1920-..) بأنّه إطار تنظيمي على علاقة باجتماعية العلم والمعرفة. (Morin,1994, p01) ومن نافلة القول، أنّ هذا إذا كان يفترض العلاقة بالغير، فإنّ هذه العلاقة ليست دون تبعات. إنّ هذه التّبعات لاشكّ تتعدّد بتعدّد هذا الوضع، ومن هنا لايمكن إلّا أن تكون ثمة حواجز وتحديات. وهذه الحواجز والتحديات قد تكون مؤسّساتيّة، كما يمكن أن تكون أكثر من ذلك متعلّقة بالطّريقة التي تتبع منها المعرفة وتنمو. إنّ الممارسين للتّخصّصات كما يُذكر يُظهرون اختلافات نمطية stereotypical differences في أمور عديدة، تدفع بها خاصّة العوامل التّكوينية والثّقافيّة (Bauer,2015,p105,106). أي العوامل التي تبرز فيها العادات والطّرق والانتماءات والخصوصيّات، كأشكال للممارسة. وإذا كان لهذا من دلالة، فدلالته أنّ الدّراسة البينية لايجب أن تكون نقيضا للتّخصّص، بل يجب أن تكون كما يقول البعض مكّملة. (Bauer,2015, p113) وعندما يتمّ تأكيد هذه الفكرة، فلا بدّ من الوقوف قليلا أمام رأي المدافعين عن الدّراسة البينية. إنّ الملاحظة في هذا الشأن أنّ بعضا من هؤلاء يميلون الى الإعتراف بدور التّخصّص، وفضلا عن ذلك يميلون إلى العمل على توسيعه. إنّ كلاين كأحد هؤلاء تقترح ماتسميه تعدّد

الوسائط Multimodality ، وفي هذا الإقتراح من الملفت أنها تقصد أمرين مهمين تجنب الباحثين قصر النظر، وتنمية المعاملة بالمثل بين مختلف التخصصات. فالغرض هنا يتعلّق باستخدام مختلف الوسائط أو الأنماط البحثية سواء أكانت تاريخية أو كانت تجريبية أو غير ذلك (Klein, 1990, p110) . وهذا لاشكّ يدلّ على مرونة، والحقّ أنّ هذه المرونة، ممّا تؤكّد أهميّة العلاقة الجدلية بين التخصص من جهة والدراسة البينية من جهة أخرى. ولإدغار موران رأي في هذا يحسن أن نشير إليه، فقد ذكر أن التخصص يجب أن يكون مفتوحا بقدر ما يجب أن يكون مغلقا (Morin, 1990, p12) . وهذا عين الصواب، مادام الواقع معقّدا ويفتضي زوايا نظر مختلفة؛ ولهذا، لانعجب من رأي وينجارت- (Peter Weingart 1941..) عندما يقول أنّ كلّ من الدراسة البينية والتخصص متوازنان ويعزّزان بعضهما، أو كما يقول في كلام آخر هما وصفان تكميليان لعملية إنتاج المعرفة (Weingart, Stehr, 2000, p40) .

وإذا كان البعض لا يجد مانعا من تعداد صعوبات الدراسة البينية، فهذا أمر قائم ويستوجب النظر. ولكن يبقى القول أنّ التعامل معها يمكن أن يكون بروى مختلفة، ولعلّ في المراجعات والإقتراحات التي تظهر بين الفينة والأخرى ما يثبت ذلك. إنّ نويل في سعيه إلى تقديم أساس منطقي نظري للدراسة البينية يقترح ما يسمّيه نظرية الأنظمة المعقّدة. complex systems theory، وهي نظرية تعتمد على انطولوجيا الواقع المعقّد، ومن وجوها مثلا أنّ الاندماج لا يكون خطيا وإنما يكون تكراريا، من الخلف وإلى الإمام، يعود إلى التخصص ويتعد عنه في الآن نفسه (Newell, 2001, p19, 20). وهكذا تغدو مثلا مسألة التخصص هي مسألة تجاوب وتفعيل، بدل أن تكون مسألة تجاوز في ذاتها، أو كما يقول نويل مسألة تحتاج إلى تعديل (Newell, 2001, p20). وهكذا، يمكننا القول فعلا أنّ ثمة أفقا للدراسة البينية، وهي تتسع لهذه النظرية كما تتسع إلى غيرها. أي اتساعها مثلا إلى ما يقابلها ويمثّل انتقادا لها وهي الآراء التي يُبديها كارب Richard Carp 1935 (-..)، الذي يرى من المهمّ أن لانحصر عملية الاندماج في إطار العلاقة التقليدية بين التخصصات - كما يراها نويل وهي الغير ثابتة - بل يجب أن تشمل أنواع المعرفة المختلفة ضمن ما يسمّيه تشكيلات

المعرفة المتعددة (Carp, 2001,p74,75). ويتأمل هذا الموقف وغيره، فلا بد أن ينته المرء إلى حقيقة أن الدراسة البينية متميزة بقابلية التجدد والإغناء؛ لأنّ منطلقها الذي تنطلق منه لا يمكن وصفه إلا بالقوّة، وهو الخروج من ضيق التخصّص والاستفادة من التخصّصات المختلفة أمام الواقع المركّب، الذي يتطلب ذلك لاشكّ. أمّا أشكال ما تكون عليه تالياً، فهو يبقى في محلّ الأخذ والرّد، وقد رأينا واقع الاختلاف الدالّ عليه. من الصحيح أنّ البعض يريد الإستعاضة عن الدراسة البينية *interdisciplinarité* بمصطلحات مثل التشارك *co-disciplinarité* كما فعلت (Claudine Blanchard-Laville 1942-..) التي تحجّت بأنّ هذه الدراسة هي حلم بعيد المنال (Blanchard-Laville, 2000, p56)، وأنّ التشارك هو البديل؛ من جهة أنّه يقوم على استحضار تخصّص آخر على صلة ضرورية بتخصّص ما، يؤدي الغرض نفسه الذي يتعلّق به ذلك التخصّص، بناء على أنّ المسألة هنا تتعلّق بـ (مع) وليس (بين)، كما هي بادئة كلّ منهما (Blanchard-Laville, 2000,p59). إلّا أنّ ذلك، ممّا يمكن أن يصنّف في إطار التفكير البيني العام، وهو في كلّ الأحوال لا يخرج عن حقيقة أن التخصّص وحده لا يكفي، أو بالأحرى لا يخرج عن حقيقة الحاجة الى التواصل بين التخصّصات. وإذا كان البعض كفرو دمان (1958 -Robert Frodeman-..)، يؤكّد انفتاح الدراسة البينية على المستقبل من خلال القول أنّها تفكير عام حول ما يمكن أن تساعدنا به المعرفة في علاقتها بتحقيق هدفنا المتمثّل في عيش الحياة الكريمة (Frodeman, 2017, p08). فهذا الكلام لاشكّ يجسّد أفقا للدراسة البينية، بغضّ النظر عن النقاشات الدائرة حولها؛ إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ بعض هذه النقاشات قد زادت نفساً بمحاولات تأصيلها واثرائها. ولكن، هذا لا يمنع أن الدراسة البينية مازالت في مواجهة مفتوحة مع التحدّيات كما يعترف بذلك نويل، عندما يشير إلى التحدّي الذي تمثله كل من *Transdisciplinarity* وعلم فريق العلوم *Science of Team Science*، خاصّة وأنّه كما يعترف،

ما زالت هناك حاجة لإيجاد نظرية بينية interdisciplinary theory متماسكة وناضجة (Newell,2013,p35-37). فالطريق إذاً بقدر ما هو مفتوح على الأمل بقدر ما هو مفتوح على الجهد المتواصل، وهو مانحسب أنه كذلك.

6. خاتمة:

بعد هذا الذي رأيناه يمكن القول ختاماً، أنّ الدّراسة البينية لم تبتعد بالمرّة عن النقاش، لقد وجدت في إطار النقاش وتطوّرت في إطار هذا النقاش؛ ولهذا، فإنّ أي محاولة للقفز عن هذا النقاش هي محاولة للتعامل معها باجتزاء وتعسف. إنّ النقاش كما قد كان في إطار محاولة اغنائها وتدعيمها قد كان في إطار محاولة اضعافها وصرف النظر عنها، فهي على هذا لها سياق موضوعي يجب الإلتباه إليه. والإلتباه إلى هذا السياق يعني الإلتباه إلى الجهد المستمرّ في تكوينها، فهي ليست فكرة جاهزة، بالرّغم من أهميّة بعض الأفكار وشيوعها، فهناك أخذ وردّ على مستوى المفاهيم، كما أنّ هناك أخذاً وردّاً على مستويات أخرى إجرائيّة وعملية، كما أنّ هناك إعترافاً بالحاجة إلى الغطاء النظري لتبريرها منطقياً وعقلياً. فالدراسة البينية لا يمكن إنكار أهمّتها، ولكنّها تحتاج إلى عمل مستمر للرقّي بها، خاصّة وقد تطوّرت بمحاذاتها أفكار أخرى تؤكّد على التّواصل بين التّخصّصات، كما أصبح يعرف حديثاً بعلم فريق العلوم Science of Team Science. فعلى هذا، فهي تبدو وكأنّها طريق مفتوح أمام المزيد من العناية والدّعم. ولكن على أيّة حال، فمستقبلها ليس بمغلق، وهي تنطلق من منطلقات مشروعة لها مايبرّررها في الواقع، فالأمر المهمّ هو مراعاة الأسباب التي أدّت إلى وجودها، وهي أسباب يجب الإعتراف والتّأكيد أنّها قد وجدت أولاً وقبل كلّ شيء من أجل مستقبل مثمر للعلم .

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- Apostel,Leo et al, (1972).Interdisciplinarity: Problems of Teaching and Research in Universities. Centre for Educational Research and Innovation. Paris .
- Choi, S. & Richards, K.,(2017). Interdisciplinary Discourse, Springer. London

- Frodeman, R, et al. (2017). The Oxford Handbook of Interdisciplinarity.2nd Edition, Oxford University Press. London.
- Hesse-Biber, Sh, N & Burke Johnson,R.(2015). The Oxford Handbook of Multimethod and Mixed Methods Research Inquiry, Oxford University Press, USA
- Hébert,D& Maltais, D. R.(2016).Philosopher,de l'opinion à la conviction.Presses de l'Université Laval, Canada
- Jacobs, J.(2013). In defense of disciplines.The University of Chicago, USA
- Klein, J. T..(1990).Interdisciplinarity:history. theory, and practice, Wayne State University Press, USA.
- Klein, J. T.(2012). Humanities culture and interdisciplinarity. State University of New York Press, USA.
- Repko, A. et al. (2008).Interdisciplinary Research: Process and Theory, SAGE, USA.
- Repko, A. et al,(2017). Introduction to interdisciplinary studies, 2nd ed, Sage, USA.
- Salter, L& Hearn, A.(1997). Outside the lines. McGill-Queen's Press – MQUP, Canada.
- Snow,C. P.(2012).Two Cultures.15th ed ,Cambridge University Press, New York.
- Weingart, P& Stehr, N.(2000). Practising Interdisciplinarity, University of Toronto Press, Canada.

المقالات:

- Sinaceur, M. Allal.(1977) "Qu'est-ce que l'interdisciplinarité ?". revue internationale des sciences sociales, Unesco , Presses Universitaires de France, (29)

مواقع الانترنت:

- Bauer, Henry.(2015)." Barriers Against Interdisciplinarity"
<https://www.researchgate.net/publication/249622099>
- Bensons, Thomas, C. (1982)." Five Arguments Against Interdisciplinary Studies"
<https://our.oakland.edu/handle/10323/3998>
- Blanchard-Laville Claudine, (2000)."De la co-disciplinarité en sciences de l'éducation" http://ife.ens-lyon.fr/publications/edition-electronique/revue-francaise-de-pedagogie/INRP_RF132_6.pdf

- Camus, Michel.(1995)."Au-delà des deux cultures : la voie transdisciplinaire."
<https://ciret-transdisciplinarity.org/bulletin/b7et8c7.php>
- Carp, Richard.(2001)." Integrative Praxes"
<https://our.oakland.edu/handle/10323/4382>
- Graff, Harvey.(2016)."The “Problem” of Interdisciplinarity in Theory, Practice, and History" <https://www.researchgate.net/publication/309688956>
- Frank, Roberta.(1988)."Interdisciplinary: The First Half Century"
https://interdisciplinarystudies.org/docs/Vol6_1988/06_Vol_6_pp_139-151_Frank.pdf
- Klein, Julie Thompson.(2014)." Discourses of transdisciplinarity: Looking Back to the Future" <http://dx.doi.org/10.1016/j.futures.2014.08.008>
- Lenoir, Yves.(1995)." L’interdisciplinarité : aperçu historique de la genèse d’un concept" <https://www.erudit.org/fr/revues/cre/1995-v2-n2-cre0799/1018204ar/>
- Morin, Edgar.(1994)." Sur l'interdisciplinarité" <https://ciret-transdisciplinarity.org/bulletin/b2c2.php>
- Newell, William . (1983). "The Case for Interdisciplinary Studies Response to Professor Bensons Five Arguments"
<https://www.researchgate.net/publication/260676688>
- Newel, William.) (2001. A Theory of Interdisciplinary Studies,
http://web.mit.edu/jrankin/www/interdisciplinary/interdisc_Newell.pdf
- Newell, William.(2013). " The State of the Field: Interdisciplinary Theory"
<https://eric.ed.gov/?id=EJ1101054>
- (Nicolescu Basarab,(2010)." Methodology of Transdisciplinarity"
<https://www.atlas-tjes.org/index.php/tjes/article/view/>
- Payette, Maurice.(2001)." Interdisciplinarité : clarification des concepts"
https://www.usherbrooke.ca/psychologie/fileadmin/sites/psychologie/espace-etudiant/Revue_Interactions/Volume_5_no_1/V5N1_PAYETTE_Maurice_p19
- Szostak ,Rick.(2015). "Extensional definition of interdisciplinarity
"https://eric.ed.gov/?id=EJ1117886